جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

أثر التنغيم في توليد المعاني وتغير الدلالة في القرآن الكريم

إعداد

د/ فيصل محمد حسن العسيري
أستاذ البلاغة والنقد المشارك بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

أثر التنغيم في توليد المعاني وتغير الدلالة في القرآن الكريم

فيصل محمد حسن العسيري

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: aaa-ssff@hotmail.com

الملخص:

يعد التنغيم من الوسائل الأساسية للوظيفة النحوية والبلاغية، فهو يميز بين أنماط التركيب، وله أثر في تنوع الأساليب داخل النص، والتفريق بين الأجناس، وهو من أهم سبل الدلالة السياقية التي تسهم في فهم المقاصد وتوليد المعاني من خلال السياق النصي للألفاظ. هذه دراسة تهدف إلى بيان أثر التنغيم في توليد الدلالة وتغير المعني في القرآن الكريم، وهي دراسة ذات أبعاد متعددة، تبين أثر النغم الصوتي وبلاغة الأداء في تعدد المعاني وتغير الدلالة أو تحوله، وقد جمعت الدراسة بين التنظير والتحليل، حيث جاءت في ثلاث مباحث، المبحث الأول : أثر التنغيم في توليد الدلالة. المبحث الثاني: أثر القراءات القرآنية في تعدد الدلالة وتوليد المعاني. والمبحث الثالث: الظواهر الصوتية وأثرها في أداء المعنى. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وخرجت بعدد من النتائج من أهمها: أن للأداء الصوتي أهمية كبرى في إيصال المعنى على الوجه الذي قصده الشارع الحكيم.

الكلمات المفتاحية: السياق– النبر– بلاغة الأداء الصوتي– تنوع طرائق الأداء.

The effect of intonation in the generation of meanings and the change of significance in the Holy Quran

Faisal Muhammad Hassan Al-Asiri
Department of Arabic Language, College of Education, Prince Sattam bin Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: aaa-ssff@hotmail.com

Abstract :
Intonation is one of the basic means of the grammatical and rhetorical function, as it distinguishes between patterns of composition, and has an impact on the diversity of styles within the text, and the differentiation between genders, and it is one of the most important ways of contextual significance that contribute to understanding purposes and generating meanings through the textual context of words. This is a study aimed at showing the effect of intonation in the generation of connotation and the change of meaning in the Holy Qur'an. It is a study with multiple dimensions, showing the effect of vocal melody and eloquence of performance in the multiplicity of meanings and the change or transformation of the connotation. The study combined theorizing and analysis, as it came in three sections, the topic The first: the effect of toning in the generation of significance. The second topic: the impact of Quranic readings on the multiplicity of meaning and the generation of meanings. And the third topic: phonetic phenomena and their impact on the performance of meaning. The study adopted the descriptive analytical approach. And I came out with a number of results, the most important of which are: The vocal performance is of great importance in conveying the meaning in the manner intended by the wise legislator.

Keywords: Context - Tone - Eloquence Of Vocal Performance - Diversity Of Performance Modalities.

مقدمة:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

تتألف اللغة من عناصر صوتية متنوعة تتمثل في ارتفاع الصوت وانخفاضه بحسب مقام القول ، وهو ما يعرف بالتنغيم الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجمال الفني للفظ ، والتنغيم مجال فني تشترك فيه كل الفنون الأدبية ؛لأنه يكشف عن التشكيلات والمعاني المخفية التي تؤثر في نفس المتلقي ووجدانه، فهو فن يكشف عن غموض المعاني، ويفرق بين معاني الجمل ودلالاتها ، ومعلوم أن للتنغيم أثرًا في تغير المعاني، وفي توليد أشكال متعددة من الدلالات القرآنية.

أهداف البحث :

هذه دراسة تهدف إلى بيان أثر التنغيم في توليد الدلالة وتغير المعاني، وبيان الأبعاد الدلالية المتعدد، كما تبين أثر النغم الصوتي وبلاغة الأداء في تعدد المعاني وتغير الدلالة، ذلك أن الكلام البليغ تتغير دلالته الضمنية والمباشرة بتغير درجة الصوت، فيكون تارة للتعجب وتارة للنهي وتارة للنفي أو للاستفهام، أوغيرها من المعاني التي يحددها سياق الجملة وظروفه المحيطة به. (أعد التنسيق)

أهمية البحث :

لكل بحث من البحوث النظرية أو التطبيقية أهمية ما ، قد تختلف هذه الأهمية باختلاف موضوع البحث ومجال اهتمامه ، فبحث يغوص في التنغيم والأداء الصوتي للكلمات والحروف ، لابد من أن يكون ذا أهمية فهو يسعى للربط بين الأداء الصوتي ودلالة الكلمات والجمل ، وتوضيح أثر التنغيم في بلاغة الجملة العربية.

مشكلة البحث :

معلوم أن التنغيم هو التتابع المطرد لدرجات صوتية تكون متخالفة ، وله أثر في اختلاف المعنى ودلالة السياق، وستحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي :

هل للأداء الصوتي أثر في الخطاب العربي ؟

وتتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

- هل للوصف الصوتي أثر في بلاغة الجملة العربية.؟
- ما دور التنغيم الصوتي في توسيع الدلالة وتحديد جوانبها؟

منهج البحث:

استخدم البحث المنهج الاستقرائي في تتبعه للأوصاف الصوتية عند علماء البلاغة واللغة والتجويد وغيرهم، كما اعتمد على المنهج التحليلي في تناول شواهد أوصاف الأداء البلاغي للجمل والنصوص.

والتنغيم الصوتي للألفاظ والجمل من الوسائل الأساسية للوظيفة النحوية والبلاغية، فهو يميز بين أنماط التركيب، وله أثر في تنوع الأساليب داخل النص والتفريق بين الأجناس، وهو من أهم سبل الدلالة السياقية التي تسهم في فهم المعاني وتوليدها من خلال السياق النصي للألفاظ من غير زيادة أونقص.

ولا شك أن هذا باب واسع متعدد الأوجه، حاولت فيه الجمع بين النقيضين والمتوائمين، فالنقيضان: توليد المعاني الدلالية، وتغير الدلالة بأثر صوتي من خلال الأداء، والمتوائمان: توليد الدلالة من خلال الصوت، وتوليد المعاني من خلال القراءات القرآنية، وكلاهما أداء صوتي يبين المعنى ويوضح الدلالة.

كما تهدف الدراسة إلى الجمع بين التنظير والتطبيق والأداء الصوتي وبلاغة الآية القرآنية من خلال السياق القرآني، وذلك في آيات من آيات الذكر الحكيم.

وقد جمع البحث بين تنظيرية والتحليل، فجاء في البحث مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، هي:

١- أثر التنغيم في توليد الدلالة.

٢- أثر التنغيم في تعدد الدلالة في القراءات القرآنية.

٣- الظواهر الصوتية وأثرها في أداء المعنى.

ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات التي اهتدى إليها البحث.

أما منهج البحث فقد استخدم الدراسة الوصفية والتحليلية؛ لدراسة الآيات وبيان أسرارها ومساقاتها الدلالية، حيث اتبعت المنهج التكاملي في بيان دلائل النظام والتحليل.

آمل أن تسلط الدراسة الضوء على أثر التنغيم في توليد المعاني وتغير الدلالة في القرآن الكريم، وتحقيق نتائج تثري المكتبة البلاغية والدراسات القرآنية، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

توطئة:

يعد التنغيم من الوسائل الأساسية للوظيفة النحوية والبلاغية، فهو يميز بين أنماط التركيب، وله أثر في تنوع الأساليب داخل النص، والتفريق بين الأجناس، وهو من أهم سبل الدلالة السياقية التي تسهم في فهم المقاصد وتوليد المعاني من خلال السياق النصي للألفاظ.

حيث نجد من خلال الصوت الجملة محتملة لأكثر من وجه ؛مما يسهم في تنوع المعاني وتوليد الدلالة للألفاظ من غير زيادة في التركيب، فجملة: (قال الحق) خبرية إذا أُدْيت بنغمة مستوية متوسطة، وتدل على الاستفهام إذا أتت بنغمة مرتفعة صاعدة، وتدل على التعجب إذا أتت بنغمة منخفضة مهموسة دالة على الحزن(١).

كل هذا في جزء واحد من دلالات الأداء الصوتي، فإذا ما زيدت الدلالة الصوتية، كالنبر في كلمة أخرى تغير المعنى أيضا، كقولك: هل سافر أخوك أمس؟ حيث يختلف الغرض منها باختلاف الكلمة التي زيد نبرها، فإن نطقت بصوت مستوٍ ونغم معتدل فُهم منها السؤال عن سفر الأخ يوم أمس، وإن نُبرت كلمة (سافر) فُهم منها الشك في حدوث السفر، أو يُظن أمر آخر غير السفر، أما إذا نبر المتكلم كلمة(أخوك) فهم من الجملة أن المتكلم يشك في فاعل السفر، وربما كان شخصًا آخر غير الأخ، أما إذا نُبرت كلمة(أمس) فُهم منها الشك في تاريخ السفر(٢).

(١) انظر: مناهج البحث العلمي: تمام حسان، مكتبة الأنجولي، مصر، القاهرة، ط١: ١٩٩٠م: ١٧٠-١٧٢.

(٢) انظر: المصدر السابق.

المبحث الأول: أثر التنغيم في توليد المعنى في القرآن الكريم:

تجدر الإشارة إلى أن الأداء الصوتي يولد المعاني من عدة أوجه دلالية صوتية ونحوية وصرفية وتنظيمية ومعجمية، مع وحدة التركيب والجملة؛ مما يعطي دلالات متعددة تثري المعنى، ولا تخل بسياق الحال ومقام الكلام، هذا النوع من البحث يمكن دراسته في أكثر من وجه دلالي ومعنوي وأسلوبي حتى يتبين للقارئ الكريم بلاغة التعبير وتنوع المعاني، وتعدد الدلالات في القرآن الكريم من خلال توجيهات أئمة التفسير والبيان من سلف هذه الأمة وخلفها.

ففي هذا المبحث سأبين أثر الأداء الصوتي في تغير الدلالة وتنوع المعنى دون الإخلال بالسياق العام ومقام التركيب ومقصده في القراءة القرآنية.

فقد يكون تعدد المعاني وتوليدها ناتج عن احتمال التركيب لأكثر من وجه صوتي ومعنى، وجميع المعاني محتملة؛ مما يظهر أهمية التنغيم في توجيه المعنى وصناعة الدلالة، كقولك: ما أحسن زيد، تعجبا ، و بنغمة تعجبية مستوية تدل على تعجبك من صنيعه، ويمد ذلك مقام الكلام وسياقاته الدالة عليه.

فإذا قلت ما أحسن زيد، تقصد نفي الإحسان عنه، ورفع الصوت في(ما) دلَّ على نفي الإحسان عنه، وكان للتنغيم أثر في توجيه المعنى والدلالة عليه.

ولا يقف الأمر عند هذا بل إذا قلت: ما أحسن زيد؟ سؤال عن الإحسان بزيادة الصوت في(ما) و النبر في أحسن أفاد السؤال والاستفهام عن حال إحسان(زيد)، وغيرها من المعاني الدالة على تعدد المعنى بتغيير الصوت وتغيير العلامة الإعرابية وحسن نطقها، حيث أفادت (ما) التعجب في الموضع الأول، والنفي في الموضع الثاني، والاستفهام في الثالث، وزيد في الأول مفعول به، وفي الثاني فاعل، وفي الثالث مجرور بالإضافة[1].

(١) انظر: الصوتيات اللغوية ، مكتبة (دراسة تطبيقية على أصوات العربية) عبدالغفار حلمد هلال، دار الكتاب الحديث، ط١: القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م: ١٦٢.

ولعل من أهم وظائف التنغيم في الجملة أنه يقوم بوظائف نحوية ودلالية وبلاغية في الجملة الواحدة، ويبين تمام الجملة من عدمها، ويصنف الجملة إلى أنماط مختلفة: تقريرية و استفهامية، و تعجبية، ودلالية، وينبئ عن اختلاف المواقف الاجتماعية ووجهات النظر الشخصية من رضا وقبول وزجر وتهكم وغضب وتعجب بمعونة السياق والموقف الكلامي.

أما وظيفته البلاغية الصرفة فمن خلال التنغيم يتم تحديد المعنى وتوجيه الغرض معًا، ومن خلاله أيضًا يستطيع المتكلم تحديد مقصد المتكلم، ودور الكلام في التأثير على المتلقي، إذ أن معظم المتكلمين في العالم يستعملون التنوعات الصوتية في كلامهم بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني(١).

والفضل في إمكانية تعبيرنا عن جل مشاعرنا وخوالجنا النفسية وحالاتنا الذهنية راجع بالدرجة الأولى إلى التنغيم" بل يتغير الغرض في الجملة من معنى إلى أخرى دون أن يتغير شيء من تركيب الجملة، ولا يمكن لمتكلم اللغة أن يغير تنغيم الجملة إلا إذا غير النغمة الأدائية حيال ذلك"(٢).

من شواهده قول الله تعالى:﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[التوبة: ٣]

ومعنى الآية أن الله بريء من المشركين ورسوله بريء منهم، وقرأت كلمة" رسوله" بالرفع على الابتداء، وخبره محذوف، والتقدير" ورسوله بريء منهم" والصوت هو صوت الضمة، وقرىء: " ورسوله" بالنصب عطفًا على لفظ الجلالة المنصوب بـ(أن)، ويكون المعنى: وأن الرسول بريء من المشركين، كما قُرِأت بالخفض/ورسولِه/ وهي لا تصح: لأنها توهم أن الله بريء من المشركين ومن رسوله، وهو معنى باطل. (٣)

(١) انظر: البعد الوظيفي للتنغيم في تحديد نوع الأساليب اللغوية: ٢٩.

(٢) البعد الوظيفي للتنغيم في تحديد نوع الأساليب اللغوية: ٣٠.

(٣) فتح القدير: ٣٧٩/٢، الشوكاني، محمد بن علي، دار ابن كثير، دمشق– سوريا– ط١: ١٤١٤هـ.

كما أُول الجر: " على أن الواو للقسم، وهي قراءة ضعيفة جدا، إذ لا معنى للقسم برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه مجرور على الجوار"(١)

كل هذه الأوجه في اختلاف إعراب لفظة واحدة دلت على أربعة معانٍ، وأربعة توجيهات دلالية تفسيرية فسرها علماء التفسير...

هذه الأوجه في اختلاف نطق صوت حرف واحد من حروف الآية بين الرفع والنصب والجر، غيرت في المعنى والدلالة؛ مما يدل على أهمية النطق الصحيح، وأثر البلاغة الصوتي في توجيه المعنى وتعدد الدلالة.

ويدخل في ذلك توجيه إعراب كلمة(صبغة) في قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]

حيث قرأت بالفتح على النصب، بمعنى: دين الله، وهو بدل من" ملة"، وعلى النصب أيضا على المفعولية بفعل محذوف تقديره بـ: اتبعوا، بمعنى الزموا، وقرأت بالرفع فتكون بمعنى: هي صبغة الله. (٢)

ولا شك أن اختلاف النطق بالحركة أدى إلى اختلاف النطق بالكلمة، مما أدى لتعدد الدلالة وتوليد المعنى.

ويدخل في ذلك نطق الكلمة استئنافا، أو نطقها متصلة مع ما قبلها من الآيات، قال تعالى:﴿يُبَصَّرُونَهُمۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴾ [المعارج: ١١] .

فإن نطقت مستأنفة كان المعنى: يبصر الحميم حميمه، ثم يفر منه لانشغاله بنفسه، فقيل: يبصرونهم على الاستئناف.

(١) المصدر السابق:٢/ ٣٨١.

(٢) تفسير الطبري: ٢/ ٤٢٠

وإن نطقت متصلة بما قبلها" ولا يسأل حميم حميما" فتكون جملة يبصرونهم صفة، أي: لا يسأل صديق صديقه ما كانوا عليه. وفي كلا الحالين وصف لحالهم يوم القيامة، و حالهم وحال الحميم مع حميمه في ذلك المشهد العظيم، فتغير المعنى بتغير الأداء استئنافًا وصلة(١).

لذا فإن الأوجه الإعرابية ظاهرة صوتية نحوية بلاغية جديرة بالدراسة والتحليل، فهي من دلائل تعدد المعاني، واتساع الدلالة عن طريق العامل النحوي وأثره في تعدد الأوجه الإعرابية، وأثره في تعدد المقاصد الدلالية من تقديم وتأخير، وحذف وإضافة وغيرها من الوجوه النحوية التي تؤدى بعدة أصوات وتكون أكثر من معنى.

كما هو الشأن مع أضرب الكلام في البلاغة خبرا وإنشاء، فتحمل الجملة أو الآية أكثر من معنى خبرا وإنشاء تبعا لأدائها الصوتي الدلالي، قال تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ [ص: ٢١]

فالآية جاءت بصيغة الاستفهام، وهو من الأساليب الإنشائية التي يتطلب فيها الجواب عن السؤال، إلا أن المعنى و سياق الآية يفيد بأن الاستفهام جاء بصيغة الخبر مع إفادة التعجب وجذب انتباه المخاطب إلى أمر عظيم ينبغي الاعتناء به، فصدر له الكلام بتنبيه يجذب ذهنه للمخبر به، يقول ابن عاشور: "إن الاستفهام مستعمل في التعجب أو في الحث على العلم، فإن كانت القصة معلومة للنبي صلى الله عليه وسلم، كان الاستفهام مستعملا في التعجب، وإن كان هذا أول عهده بعلمها كان الاستفهام للحث"(٢).

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٧٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٢٩.

ويكون الأداء في الآية بنغمة صاعدة للاستفهام حتى يحقق الغرض من لفت انتباه السامع، وإحضار ذهنه لما يتضمنه الخبر من تعظيم وتعجب وضرورة الاعتناء بالمخبر عنه.

وقد وردت لفظة(هل) الدالة على الاستفهام كثيرا في القرآن الكريم، وهي في كل مرة تفيد بقصد آخر: كالتعجب وحث مستمع على الانتباه والتركيز على الأمر وغيره.

ومن جمال الأداء الصوتي أن(كم) الاستفهامية التي تتطلب صوتا مرتفعا عند النطق بها حتى تتناسب مع الاستفهام، فإنها تؤدى بنغمة هابطة شبيهة بالأسلوب الخبري، أو نغمة مستوية قال تعالى:﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: ٣] .

فالأداة الاستفهامية لم تفد الاستفهام بل خرجت إلى الإخبار، ولم تتطلب جوابا، والكلام منته عندها، ولكن دلالة الآية تفيد الكثرة وتعظيم الأمر وتأكيد عظم الخطب في نفس المتلقي.

ومن صور توليد المعنى، وتعدد المعاني، قول الله تعالى:﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ [ص: ٩-١٠]

فلا وجود لأداة الاستفهام في هذه الآية، و(أم) مشعرة بصوتها ومقامها بالاستفهام مع عدم وجود أداة الاستفهام.

كما دلت على الإنكار والتوبيخ، وردا على قولهم" أأنزل الذكر عليه من بيننا" إذ الوهاب هو الله -جلَّ جلاله- يصطفي من عباده من يشاء(١).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٠٦.

أما الاستفهام الثاني في الآية الثانية: " أم لهم ملك السماوات والأرض" هو تهكمي تعجيزي(١).

والاستفهام يفهم من سياق الآية و النبر لكلمة(أم) ورفع الصوت فيها مع الاعتدال في النغمة تماشيا مع الأسلوب التقريري الإنكاري التهكمي التوبيخي، مما يدل على اتساع الدلالة وتعددها في آية واحدة، أو آيتين وكلاهما متسق مع الآية ومقصد السورة.

ومن أمثلة تعدد المعاني مع وحدة التركيب ودلالة الاستفهام، ما جاء في نهاية سورة التين: ٨:﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [التين: ٨] الصوت في الآية صوت الاستفهام، وهو يؤدى بنغمة صاعدة، حيث جاء في ختام السورة استفهام تقريري يحمل عدة معاني:

فحمل على الاستفهام كما هو ظاهر الآية، وهو استفهام بمعنى: أحكم القضاة وأحكم الحكماء، وبمعنى: أقضى القضاة وأقضى الحكماء، بأربعة معانٍ كلها مرادة ومحتملة.

كما يحتمل التأكيد على الحكم السابق والمشيئة والمصير الوارد في الآية، فجاء الاستفهام تقريرا وتأكيدا لهذا الأمر.

كما دل الاستفهام على لفت الانتباه، وتنبيه السامع وتذكيره بأن صاحب المشيئة السابقة في آيات السورة، والمصير المحتوم، والمستثني للذين آمنوا هو أحكم الحاكمين، وصاحب العدل المطلق والقضاء الذي لا يشوبه ظلم ولا جور أبدا(٢).

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٠.

ومن نفائس هذا الباب أن أهمية الوقف والوصل تؤدي المعنى المقصود من الآية، فإن حدث إخلال بهما اختل المعنى وفهم على غير مراده، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨-٩]

فالوقف في الآية على نهاية الآية الأولى (وما هم بمؤمنين)، إذ لو وصلت الآية بما بعدها (يخادعون الله والذين آمنوا) لأصبحت الجملة صفة لما هم بمؤمنين، فينتفي الخداع عنهم ويثبت لهم الإيمان، كأنك تقول: "ما هم بمؤمنين وماهم بمخادعين الله والذين آمنوا"، والآية فيها إثبات عدم الإيمان لهم وإثبات الخداع لهم أيضا(١).

وقد يؤدي الوقف إلى تعدد الحالات الإعرابية واختلاف التقدير، قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾ [الحج: ٧٨]

فإن نصبت (ملة) بمعنى(كلمة) فهي منصوبة على المفعولية، فأُعمل فيها ما قبلها (جعل) ولم يقف على ما قبلها(حرج)، ومن وقف على(حرج) ونصب(ملة) على الإغراء وقف على ما قبلها حتى يصح الإعراب(٢).

ولا شك أن مثل هذه الإجراءات الصوتية التي تسهم في بيان المعنى وعمق الدلالة، لها أبرز الأثر وأعظم التأثير في أداء الجملة وبيان معناها، ودلالتها على سياقها ومقامها؛ مما يحتاج إلى تمعن ودراية لدلائل الكلام ومعانيه وخصائصه.

---

(١)علل الوقف، محمد السجاوندي، تحقيق: محمد العيدي، مكتبة الرشد، ط:٢: ١٤٢٧هـ : ١/ ١٠٨.

(٢) القطع والائتلاف، النحاس: أحمد بن محمد، تحقيق: عبدالرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض- السعودية- ط: ١: ١٤١٣هـ: ١٨.

المبحث الثاني: أثر القراءات القرآنية في تعدد المعاني وتوليد الدلالة:

تعرف القراءات القرآنية بالعلم الذي يبحث عن قراءات القرآن الكريم المتواترة في جوانبها المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية و البلاغية والدلالية، وتوجيه القراءة من حيث التوجه اللغوي، والفرق بين القراءات في الأداء الصوتي(١).

كما عُرِّفت القراءات القرآنية بعلم كيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوا لناقله(٢)، وعُرِّفت أيضا: بعلم كيفيات أداء كلمات القرآن من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف(٣).

وهي قراءات متعددة حصرت في سبع قراءات متواترة وقيل أنها عشر، ليس بينها تخالف من حيث المعنى أو إخلال بمقصد الآية ومعناها، أو مخالفة لسياق السورة ودلالاتها، إنما هو اختلاف في طرائق الأداء وتغيير في صور النطق بالكلمات؛ مما يوسع الدلالة، أو يضيق المعنى، أو يجمع بين الدلالات المتعددة بطريق من الطرائق المذكورة في التعريف السابق.

أما سبب إيراد القراءات في هذا الموضع من البحث فإن لبلاغة القراءات القرآنية وأصواتها المختلفة أثر كبير في توجيه الدلالة وتعدد المعاني وتوليدها، مما يجعل منها ظاهرة صوتية تتصل اتصالا وثيقا بما اختارته هذه الدراسة لبيان بلاغة الجانب الصوتي ودلالته في القرآن الكريم.

---

(١) فصول في أصول التفسير، الجصاص، أحمد بن علي، وزارة الثقافة الكويتية، الكويت، ط٢: ١٤١٤هـ: ١٦٦

(٢) منجد المقرئين، ابن الجزري، محمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– ط١: ١٤٢٠هـ: ٩.

(٣) المصدر السابق.

والقراءات القرآنية علم له بابه وعلماؤه الذين صنفوا فيه وتناولوه بالبحث والتحقيق والدراسة والبيان، مما لا سبيل إلى ذكره في هذا الموضع من الدراسة، إنما تتناول الدراسة أبرز المظاهر الصوتية التي تسهم في تعدد المعاني، من أهمها:

- **الذكر والحذف لصوت في الآية القرآنية:**

منه ما جاء في سورة الأعراف، في قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣]. حيث جاء في قوله(إن لنا لأجرا) : قراءتان: بهمزتين: (أئن) على الاستفهام و بحذف الهمزة على الإخبار عند نافع وابن كثير... [(١)]، وقرأت الآية بدون همزة مما يصور ثقة السحرة لحصولهم على الأجر، وهم يخبرون عن قول فرعون لهم مع ثقتهم بوعده، كأنهم يقولون: لا بد لنا من أجر، ويكون تعقيب فرعون:﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٤]، تأكيدا للخبر، وثقة بانتصاره على موسى– عليه السلام–[(٢)].

وإن قرأت بمعنى الاستفهام(أئن لنا لأجرا)، حُمِل الاستفهام على حقيقته من استعلامهم عن حصول أجرهم إن كانت لهم الغلبة على موسى، من باب التأكيد والإقرار، بمعنى: هل لنا أجر مؤكد بالغلبة على موسى؟ فأجابهم فرعون: (نعم وإنكم لمن المقربين)، فزادت قراءة حذف الهمزة بدلالتها على الاستفهام والإخبار وحكاية عن حالهم وثقتهم بحصولهم على الأجر.

(١) النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن يوسف، تحقيق: علي الضباع، دار الكتب العلمية، القاهرة، بيروت– لبنان ط١: (د.ت): ١/ ٣٩٢

(٢) التحرير و التنوير: ٩/ ٤٦

ومن الدلالات الإعرابية للقراءات: تعدد العلامات الإعرابية أو تعدد الدلالة: قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧]

- حيث قرأ الفعلين: (لا نكذب) و(نكون) بالرفع، وقرئت بالنصب، وقرئت بـ(لا نكذبُ)، ونصب الثاني: (لا نكونَ)، والقراءة الأولى بالرفع بمعنى: تمنوا ردهم إلى الدنيا، وعدم التكذيب، وأن يكونوا من المؤمنين.
- والمعنى الثاني: أنهم يتمنون الرد إلى الدنيا، والوعد بأنهم إن ردوا لايكذبون، ويكونوا من المؤمنين.
- وبالرفع على العطف، أو يكون حالا يدل على التمني أوالاستئناف، والجملة ابتدائية إخبارية عن حالهم، والثاني معطوف أيضا.
- أما في حال نصب الفعلين: (لا نكذبَ، ونكونَ) بإضمار (أن) على التمني، بمعنى: يا ليتنا رددنا إلى الدنيا، ولا نكذب ونكون من المؤمنين، فيكون ردهم سببًا في إيمانهم وعدم تكذيبهم للرسالة لأنهم رأوا الحق(١).

كما قرأت الآية برفع (لا نكذبُ) على العطف أو الاستئناف أو التمني، ونصب(نكونَ) على قراءة ابن عامر، جوابا للتمني الدال على الوعد بعدم التكذيب، وأن يكونوا من المؤمنين، فكذبهم الله لعلمه – سبحانه– أنهم كاذبون، فقال: (وإنهم لكاذبون) وتكذيب المتمني دلالة على أن التمني جمع بين التمني والوعد، فإن حصل له ما تمناه ولم يف بوعده أصبح من الكاذبين(٢).

(١) انظر: إعراب القرآن العظيم، زكريا الأنصاري: ٤٤٤، تحقيق: موسى مسعود، ط١: ١٤٢١هـ.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، محمود بن عمر، دار الريان، القاهرة– مصر– ط٢: ١٤٠٧هـ : ٤٢٧/١.

ومجمل الدلالات الإعرابية، وتعدد القراءات يحمل أيضا اختلاف حالهم عند وقوفهم على النار، فمنهم من يتمنى عودته إلى الدنيا، ومنهم من ندم أشد الندم وتحسر على ما كان منه، وحاله أن يتمنى العودة وعدم التكذيب، ومنهم من يتمنى العودة مع الوعد بالإيمان وعدم التكذيب، ومنهم من يعلم أنه لن يعود وأن هذا محال زيادة في الحسرة والندامة(١).

ومن صور تعدد الدلالة قول الله تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ [المسد:٤]

فلفظة "حمالة" قُرِأت بالرفع على أنها خبر للمبتدأ(امرأته)، وقرئت بالنصب على الحالية: ذم لها، وحملت على الحال بأن في جيدها حبل من مسد من الحبال، وأنها تحمل الحطب وتربطه في وسطها كما يفعل الحطابون، تصويرا لها وهي في حال العز والشرف والثروة والجاه متزعمة لواء الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

وتحمل اللفظة للدلالة على حالين من الحقيقة والمجاز، الأول: على حالها وحقيقة أمرها أنها تحمل الحطب على جيدها وصفا لها وبيانا، وذمًا لها بأنها ممن يمتهن هذه المهنة.

أما المجاز فهو تشبيهها بحمالة الحطب، حيث إنها تمشي بين الناس بالنميمة، وتسعى في الفتنة بين الناس لتوقد نار الضغينة بينهم، وتشبيه لحالها بحال حمالة الحطب التي توقد النار في بيوت أهل مكة.

كما تحمل الصورة أيضا كناية عن حمل أوزارها يوم القيامة، وخطاياها استنادا لقوله تعالى:﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[الأنعام: ٣١]

(١) المصدر السابق.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٨١٥.

وقد سهم هذا التعدد في الدلالة بالتعدد في صور التشبيه والدلالة المجازية، مع عدم تعارض سياقات الآيات، تأكيدا للمعنى في النفس وتقوية له.

ومن صور تشديد صوت الحرف أو تخفيفه، بجعله مكررا أو حرفًا واحدا، قال تعالى:﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ [النبأ: ١٩]

فقرئت عند عاصم وحمزة مخففة: (فتحت) ،وقرئت عند قالون مشددة التاء: (وفتَّحت)، وكل صوت وقراءة يدل على معنى زائد عن الآخر، فالتشديد دل على المبالغة، و دلالة على عظم الأمر وكبره، فهو أمر عظيم إذ شقُّ السماء وفتحها لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

أما التخفيف فدال على أصل الفتح، إذ فتحت السماء بماء كثير مشعر بأنه فرجة كبيرة.

كما دلَّ التشديد على الكثرة، أي: كثرة فتح السماء بماء منهمر، والتخفيف لهما معا، أي: للكثرة والقلة، فالكثرة تدل على كثرة الماء وعظمه، والقلة تفيد علو شأن الحدث وعدم القدرة عليه إلا من الله –عز وجل– وهو لا يليق إلا بالله سبحانه.

وكلتا القراءتين لا تعارض بينهما، إنما دلت على تعدد المعنى واتساع دلالته، وتعدد معاني التأويل دون الإخلال بمقصد الآية(١).

- **اختلاف دلالة الصوت بين الحقيقة والمجاز:**

فقد ورد في سورة الإسراء قول الله تعالى حكاية عن وعد الآخرة لبني إسرائيل:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [الإسراء: ٧]

(١) التحرير و التنوير: ٣٠/٧٤.

قرأت كلمة (ليسوؤا) على ثلاثة أوجه:

- الجمهور بالياء والهمزة وواوين، واو الفعل واو الجماعة.
- وقرأها ابن عامر وحمزة بـ(ليسوء) بواو واحدة مع الإفراد.
- وقرأها الكسائي بنون وواو واحدة(لنسوء). [١]

فقرأها الجمهور بإسناد الإساءة إلى(عباد الله) حيث يقومون بمساءة وجوه بني إسرائيل، مشاكلة لفظية لإساءتهم، وتأكيدا للإساءة وعدم إحسانهم مهما تعددت أوجه التمكين لهم، فجاء الفعل مؤكدا لعدم إحسانهم، وتأكدًا لإساءتهم، وهو موافق أيضا لضمير الجمع في(عبادا لنا)، و(ليدخلوا) و(ليتبروا) وهما عائدان على واو الجماعة.

أما قراءة الإفراد فيكون بتقدير الفاعل: (ليسوء الله وجوههم) فتكون الإساءة لهم، وعذابهم من قبل عباد الله تعالى الذين يختارهم لهذا الفعل، مما يدل على عظم أمرهم وشأنهم عند الله.

كما تحمل قراءة الإفراد بحذف الفاء(العذاب) أي: ليسوء العذاب وجوهكم، وهو من إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي لعلاقة السببية، فالعذاب سبب للإساءة والمسبب هو الله سبحانه وتعالى.

أما قراءة النون فهي تحمل ما حملته قراءة الإفراد من معان دلالية بإسناد الفعل إلى الله سبحانه مشاكلة لفعلهم[٢].

هذه المعاني مجتمعة لا تعارض بينها، ولا تنافر في التأويل، مع تعدد معانيها بين الحقيقة والمجاز إما مشاكلة أو مجازًا في الإسناد، أو الإسناد الحقيقي، وجميعها تدل على عذاب اليهود ووصف حالهم عند تمكين الله لعباده منهم.

---

(١) إعراب القرآن العظيم: ٢٦٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١١٠.

- ومن أعظم المؤثرات على الدلالة الصوتية: التغني بالقرآن وأثره في المعنى:

والتغني بالقرآن الكريم يقصد به قراءته كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عذبا طريا، بالوصف الذي وصفت به قراءته عليه السلام، وتلاوة أصحابه رضوان الله عليهم.

حيث كانت قراءته صلى الله عليه وسلم ترتيلا مفسرا، وكان يقطع قراءته آية آية، ويمد الحروف مدًا، فيمد الرحمن ويمد الرحيم، وكان يرجع صوته به أحيانا، وهو القائل:" زينوا القرآن بأصواتكم" وقال:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن"[(١)]

وهو التغني الجاري على سنن العرب الذي أنزل عليهم القرآن، وهو تغني بالترجيع وجمال الأسلوب وتحسين القراءة، وترديد الصوت بترديد ألفاظها.

أما التغني المرذول والذي يحيل المعنى إلى ما يخل به ويغير معناه ويحيل دلالته، هو ما يمكن إجماله في الآتي:

١- التغني بالقرآن لمجرد النغم مع عدم النظر إلى المعاني، ويستطيب القارئ الألحان من غير تفريق بين النص العربي و النص القرآني، حيث روى حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((اقرأوا القرآنَ بلُحُونِ العربِ وأصواتِها، وإياكم ولُحُونَ أهلِ الفِسْقِ، ولُحُونِ أهلِ الكِتابَيْنِ، وسيَجِيءُ بعدي قومٌ يُرَجِّعُونَ بالقرآنِ تَرَجُّعَ الغناءِ والنَّوْحِ، لا يُجَاوِزُ حناجرَهم، مفتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ الذين يُعْجِبُهُم شأنُهم".[(٢)]

---

(١) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي جمال الدين: ١٣/ ٢٣٦، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان- ٢٠٠٨م: ٥/ ١٣٦.

(٢) انظر: هداية الرواة في تخريج أحاديث المصباح والمشكاة، لابن حجر العسقلاني، تخريج وتحقيق: محمد الألباني، وعلي الحلبي، دار ابن القيم، الرياض- السعودية- ط١: ١٤٢٢هـ.، رقم الحديث: ٢١٤٨، وإسناده ضعيف.

٢- الإيغال في المقامات وفنون التلحين الموسيقي التي تستخدم للإنشاد والتطريب، مما يظهر فيها مد الصوت والتمايل بالحروف وغيرها مما يخل بالقرآن الكريم ودلالته، وقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: " القراءة بالألحان بدعة لا تسمع"، وهو يقصد بألحان أهل الكتاب والأعاجم مما يذهب بروعة القرآن ولبه ومعناه، ويحيل القرآن إلى التطريب.

٣- ومن مظاهر هذا التطريب أن يكون التنغيم غير متسق مع المعاني، وأن يكون الترجيع للتنويع الموسيقي، أو تستخدم القراءات ولو كانت شاذة للتنويع الموسيقي وغيرها. والله أعلم.

أما ما نسمعه من قراءات الأئمة في عصرنا، فنجد أخفه وأقله ما نسمعه عن أئمة القراء، كالمنشاوي وعبد الباسط عبد الصمد مثلًا مما يقرأه على الجمهور الحاضر للمحفل الذي قُرِئت فيه القراءة، مما يجعل الجمهور يهتف ويهلل بعد كل آية تُقرأ، حتى ولو كانت الآية تدل على العذاب، أو أهوال يوم القيامة، أو حال الأمم المغضوب عليهم.

وهذه القراءة ليست كالقراءات المرتلة بصوت الشيخين وغيرهما من القراءات التي يسبق المعنى فيها إلى ذهنك وقلبك قبل صوت الآية وتنغيمها، وهو ما يكون في الإذاعات و الختمات المرتلة.

كل ذلك يؤكد أهمية مراعاة الصوت والنغم واللحن عند قراءة القرآن أو قراءة أي نص عربي، حتى يتسق الصوت مع المعنى والنغم مع الدلالة.

المبحث الثالث: الظواهر الصوتية وأثرها في أداء المعني

وسبب الحديث عن الحروف المقطعة في هذا المبحث هو طريقة نطقها التي تخالف نطق أي كلمة عربية أو كلمة في القرآن الكريم، حيث ينطق كل حرف من حروفها بذاته(الم) ألف، لا م، ميم، وهو سبب تسميتها بهذا الاسم، وطريقة النطق بها تنطق ساكنة غير متحركة ولا معربة[١].

وعدد فواتح الصور التي تنطق بصوت خاص: (٢٩) سورة، وأصواتها مختلفة، منها ما افتتح بالحرف و الحرفين والثلاثة والأربعة والخمسة، وكل فاتحة لا يمكن أن تنوب عن الأخرى في مفتتح السورة،[٢] وهو ما يدل على أن هذه الحروف المقطعة التي تتصدر عددا من سور القرآن هي بمثابة: إشارة مبدئية للحروف التي تطرق في السورة، والأصوات والكلمات الأكثر استخداما في السورة المستهلة بهذه الحروف.

والسر في بلاغة هذا الصوت هو نطقها بهذه الطريقة مع المد واختلاف المدود بين حركتين وست حركات، ونطقها ساكنة، إضافة إلى دلالة الحروف على أصوات السورة، وهي دلالة على التنبيه لأمر في السورة متعلق بما في الحروف من أصوات ومقاصد، يقول ابن الزبير في "ملاك التأويل" عن سورة يونس: (الر) و سورة لقمان: (الم) وسر الاختلاف بين الميم والراء، هو أن سورة لقمان تضمنت من التنبيه والتحريك والاعتبار ما لم تتضمنه سورة يونس، وتضمنها أيضا التنبيه بالهمزة .

(١) ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: عبدالغني الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– ط١: ١٤٠٣هـ: ١/ ٦٠٩.

(٢) المصدر السابق.

ما لم يرد في سورة يونس أو في أي سورة قبلها، وهو يدل على مناسبة هذا المفتتح مع مقصد السورة ودلالتها. (١)

وسورة يونس مبنية على التعريف بربوبيته تعالى، حيث ورد فيها ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [يونس: ٣] ، و ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٨] ، وتكررت الراء في الكلمات الواردة في سورة يونس أكثر من مئتي و ٢٠ مرة، أو نحوها مما يتناسب مع ذكر الراء عوضًا عن الميم في السورة. والله أعلم(٢).

كما يدل على التناسب بين أصوات الحروف والمعاني والأصوات في السورة، ويدل على إعجاز بلاغي وصوتي تفرد به القرآن الحكيم عن غيره.

ويمكن إجمال الروابط بين الدلالة الصوتية والتناسب بينها وبين السور الواردة فيها بالآتي:

- أن(الم) تعبر عن مخارج الحروف حلقيا، الهمزة من أقصى الحلق، واللام أوسط مخارج الحروف والميم من الفم، وهي أصول مخارج الحروف " 28 " التي عليها مدار كلام العرب.
- أن كل سورة بدأت بهذه الحروف الثلاثة مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه، كما هو الأمر في سورة البقرة وآل عمران والسجدة والروم...
- – أن السور التي اشتملت على حرف واحد كـ(ق) فإن السورة مبنية على الكلمات القافية، وأن كل معاني هذه السور مناسبة لما في حرف القاف من

(١) ملاك التأويل: ١/ ١٧٣.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٩.

الشدة والجهر والعلو والانفتاح، وكذلك الأمر في صورة (ص) وسورة (ن) (القلم). [١].

- أن هذه الحروف تتوافق مع الفوائد التي بنيت عليها هذه السور، فسورة نون (القلم) جميع فواصلها على هذا الوزن مع ما تضمنته من الألفاظ النونية[٢].

وقريب من الحروف المقطعة التصوير بالصوت ورسم الصورة المتخيلة:

وهو أن يجتمع في اللفظ أثرين، أثر صوتي عن طريق نطق الكلمة، وأثر دلالي يرسم صورة متخيلة للفظ، وهو كثير في القرآن الكريم، من أمثلته، قول الله تعالى:﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١١] حيث اجتمع في الآية لفظان ووصف(زلزلوا و زلزالا شديدا) وزلزال هو تحرك الأرض وارتجاع فيها و تحركها من مكانها. [٣]

ثم ضُعِّف لفظة (زلزالا) في وصف ما حل بالمؤمنين، وهو اختبار وامتحان شديد، بمعنى: حركوا تحريكا شديدا، أي: أي أزعجوا إزعاجا شديدا بأنواع البلاء، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله طلبا وتمنيا واستطالة أمد[٤].

فمجيء لفظ(زلزل) مضعفًا أفاد تكرار الصوت، وتكرار الابتلاء والتمحيص والشدة مرة بعد مرة، أي: حجم المصائب التي تتوالى عليهم، مما جعلهم تحت

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، ط٢: ١٤٠٩هـ: ٣/ ١٣٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١: ١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت– لبنان: ١/ ١٧٠

(٣) القاموس المحيط، الفيروز أبادي: مجد الدين بن يعقوب، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان–، ط٨: ١٤٢٦هـ: زلزل.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٠٤.

ضغط نفسي شديد لا يصمد أمامه إلا من وفقه الله وأعانه على تحمل هذه المصائب.

كما صور اللفظ صورة ذهنية لدى السامع، ووصف حال المستمع وحال المؤمنين، هذه الصورة هي صورة المؤمنين عند الزلزلة، واضطراب حالهم وتفرق أمرهم واختلاف ظنونهم واضطراب حالتهم النفسية، واختلاف أحوالهم الخارجية التي تمثل معيشتهم، واجتماع كلمتهم، حتى تسلسل الضجر والوهن والخوف والشك إلى نفوسهم كما هي حال الأرض عند اطرابها وتبدل أمرها، هذا الزلزال أكد بأنه شديد لا يقدر عليه إلا من آتاه الله القدرة والصبر والمعونة.

ومن الصور المعبرة في القرآن الكريم التي رسمت اللفظة رسمًا صوتيًا ومعنويًا عن طريق تضعيف الصوت وزيادة في اللفظ مما أدى إلى زيادة في المعنى، لفظ: (كبكبوا)، في قوله تعالى:﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴾[الشعراء: ٩٤] حيث رسمت صورة المشركين والشياطين وهم يقذفون في النار وحالهم مع القذف مرة بعد أخرى حتى يستقروا في قعر جهنم، الواقع حال هؤلاء المشركين وهم في تدهور دائم بين القيام والسقوط على وجوههم دلالة على شدة عذابهم، وتكرار التنكيل بهم بسبب غيهم وكفرهم.

وفي أصوات اللفظة ما يدل على ذلك، حيث أن (الكاف والياء) صوتان انفجاريان شديدان ، ومع تكرارهما يتكرر صوت الانفجار، وهو ما ينسجم مع المعنى الذي جاءت به الصورة المتخيلة الناتجة عن تداعي اللفظ مع الصوت والمعنى و سياق الآية.

وأظهر الألفاظ التي تجسد اللفظة مع الصوت، وتحكي الحروف حالة المتحدث كلمة(أف) وهي بمعنى: الضجر والإزدراء والكراهية، وجاءت في سورة الإسراء، قال تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣]

وهي كلمة تعبر عن صوت الهواء الخارجي بشدة من أقصى الحلق، والصوت الناتج عن ضم الشفتين وخروج الهواء من أقصى الحلق، وهو تعبير عما تنحو النفس البشرية إليه، وتعبير عما يجيش بداخلها[١].

ولعل في صوت الهمزة والفاء ما يعبر عن هذا المعنى، الهمزة من أقصى الحلق ومما يجاور المشاعر التي تجيش في صدر المتضجر، والفاء حرف انفجاري مماثل للحالة الانفجارية للهواء الخارج من أقصى الحلق.

والنهي عنها نهي عن عدم إظهار الضجر منهما لعظم فضلهما ومكانتهما على المرء[٢].

ومشابه له من ألفاظ القرآن الكريم:(صرصر) (انبجست) (غسق) (غسلين) (اثاقلتم) (زحزح) وغيرها.

ومما سبق تبين لنا أن الحروف تحكي حالة المتحدث، والحروف ما هي إلا أجراس مفردة تؤدي إلى نغم متصل عند تكاملها وانسجامها في لفظ أو تعبير، وهذا ما سعى إلى إثباته ، ونسأل الله أن نكون قد وقفنا إلى ذلك.

(١) فتح القدير للشوكاني: ٤/ ٨٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/١٧٦.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث ، ووفقني على جمع شوارده والتنسيق بينها. فهو بحث تناول أثر التنغيم في توليد المعاني وتغير الدلالة في القرآن الكريم عن طريق الدراسة التحليلية الكلية للآيات القرآنية، والتي جمعت بين التنظير والتطبيق مع الاستشهاد في موضع التنظير.

وقد حاولت الدراسة إبراز إشارات علماء اللغة والبلاغة في أثر التنغيم في توليد المعاني، وأثره في تغير الدلالة بأي صورة من صور التغير اتساعًا وقلة، أو تحول الدلالة تحولًا تامًا مغايرًا.

هذا النوع من الدراسة يحتاج إلى مزيد من الجهد الموجه لدراسة الآيات الكريمة، ذلك أن النص القرآني مملوء بالأسرار والدلالات البديعة المكتشفة بين الحين والآخر، نتيجة عدم إدراك الإنسان لكل أسرار الذكر الحكيم.

وقد جمع البحث بين الدلالة النصية الجزئية لدراسة النص، والدلالة العامة والمقامية والحالية، والظروف المحيطة بالنص من خارجه، والتي تسهم في إظهار الدلالة وعدم التباسها، فجاءت الدراسة في ثلاثة مباحث، خُصِّص المبحث الأول للحديث عن أثر التنغيم في توليد الدلالة، والمبحث الثاني عن أثر التنغيم في تعدد دلالة القراءات القرآنية، ثم أثر الظواهر الصوتية في أداء المعنى.

نتائج البحث: وبعد البحث والدراسة خرجت بالنتائج الآتية:

- أن التنغيم لا يقل أهمية عن بلاغة النظم، فالنظم البليغ إذا أُدي بنغم غير صحيح اختل المعنى، وفُهم المعنى على غير مقصده.
- لطرائق الأداء الصوتي أهمية في توليد المعاني، وإيصال الدلالة؛ لذا فالحاجة إليها قائمة.
- للتناسب بين الصوت والمعنى ودلالة الأسلوب أثر واضح في توسيع الدلالة.
- الأداء الصوتي له أهمية كبرى في إيصال المعنى على الوجه الذي قصده الشارع الحكيم.

التوصيات:

يجدر أن أشير إلى أهم التوصيات التي نتجت عنها هذه الدراسة البلاغية، وهي:

١- دراسة أثر التنغيم في توسيع المعاني وتعددها.

٢- دراسة اللكنة الصوتية للقراءات القرآنية ودلالاتها المعنوية.

٣- دراسة النقل المجازي لمعاني الألفاظ ودلالتها عن طريق أساليب الأداء الصوتي.

٤- تسليط الضوء على المقامات النغمية وأثرها في تحويل الترتيل القرآني لترتيل نغمي يهتم بالنغمة أكثر من اهتمامه بالدلالة.

هذا جهد المقل، وأسأل الله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع:

- إعراب القرآن العظيم، زكريا الأنصاري: ٤٤٤، تحقيق: موسى مسعود، ط١: ١٤٢١هـ.
- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، ط٢: ١٤٠٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١: ١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- البعد الوظيفي للتنغيم في تحديد نوع الأساليب اللغوية.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد بن الطاهر، الدار التونسية، تونس– طرابلس، ط١: ١٩٨٤م.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي جمال الدين، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان– ٢٠٠٨م.
- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، دار طيبة، الرياض– السعودية، ط٢: ١٤٢٠هـ.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، الدمام، السعودية، ط١: ١٤٢٢هـ.
- الصوتيات اللغوية ، مكتبة (دراسة تطبيقية على أصوات العربية) عبدالغفار حلمد هلال، دار الكتاب الحديث، ط١: القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م.
- علل الوقف، محمد السجاوندي، تحقيق: محمد العيدي، مكتبة الرشد، ط:٢: ١٤٢٧هـ.
- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، دار ابن كثير، دمشق– سوريا– ط١: ١٤١٤هـ.
- فصول في أصول التفسير، الجصاص، أحمد بن علي، وزارة الثقافة الكويتية، الكويت، ط٢: ١٤١٤هـ.

- القطع والائتلاف، النحاس: أحمد بن محمد، تحقيق: عبدالرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض– السعودية– ط: ١: ١٤١٣هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، محمود بن عمر، دار الريان، القاهرة– مصر – ط٢: ١٤٠٧هـ .
- مناهج البحث العلمي: تمام حسان، مكتبة الأنجولي، مصر، القاهرة، ط١: ١٩٩٠م.
- ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: عبدالغني الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– ط١: ١٤٠٣هـ.
- منجد المقرئين، ابن الجزري، محمد بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– ط١: ١٤٢٠هـ.
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن يوسف، تحقيق: علي الضباع، دار الكتب العلمية، القاهرة، بيروت– لبنان ط١: (د.ت).
- هداية الرواة في تخريج أحاديث المصباح والمشكاة، لابن حجر العسقلاني، تخريج وتحقيق: محمد الألباني، وعلي الحلبي، دار ابن القيم، الرياض– السعودية– ط١: ١٤٢٢هـ.